بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم, المحمود على كل الآلاء والنعم, والمشكور على البلاء والنغم، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأكرم, وعلى آله وصحبه الكرام الأعلام.

وبعد..

أتقدم بهذا البحث؛ لنيل درجة الدكتوراه, والذي اخترت له هذا العنوان "النزعة الرومانسية التشاؤمية بين الشاعرين أبي القاسم الشابي, والتجاني يوسف بشير" وهما يعتبران من رواد الرومانسية الابتداعية, واللذان مازج شعرهما مسح من الحزن والتشاؤم, وظّل ذلك سمة ملازمة للكثير من شعريهما، وقد عاش الشاعران حياة متشابهة من المحن والأحداث التي شكّلت حياتهما بأشكال مختلفة من الأحزان والاضطراب, وقد آثرت أن أقيم هذه الدراسة المقارنة بين هذين الشاعرين اللذين شغلا مساحة واسعة في قلوب الأمة العربية, وشغلا حيزاً واسعاً في سماء الأدب العربي.

ولكل شاعر من الشاعرين أداته الشعرية, ولونيته التي تميزه في تناوله الشّعري للموضوع مثار الدراسة والمقارنة.

ومما يدفع الباحث دفعاً لهذا الموضوع الحياة, والظروف السياسية, والاجتماعية, والنفسية التي عاشها الشاعران, فالبيئتان السودانية, والتونسية تتشابهان سياسياً, واجتماعياً وثقافياً, والاحتلال القابع في تونس نفسه الاحتلال القابع في السودان, وإن اختلف المحتل الإنجليزي في السودان, عن الفرنسي في تونس, لكنهما يتشابهان في الكبت السياسي, والفكري, والأدبي والضيق الاقتصادي, والاستبداد, وتضييق الخناق هنا وهناك.

والدراسات النفسية هي أكثر ما يستهوي دارس الأدب؛ لأنها ذات أثر لايغض الطرف عنه في تشكيل الشاعر وتوجيه شعره, وقد عنت بها الدراسات الحديثة التي حاولت تطبيق هذه الدراسات ليفسروا بها الكثير من الظواهر القديمة ,كما رأينا ذلك في دراسة أنور المعداوي لأبي العلاء المعري الذي أرجع في دراسته التشاؤم عند أبي العلاء المعري للقلق الذي ينتاب الشاعر. وذلك من حرمان روحي وعاطفي وجسدي عاشه الشاعر[1].

وقد تشابهت نفسيات الشاعرين اللذين اعتصرهما الألم من مشاكل عدة عاشاها من الإحساس بالإحباط, وهما يريان بلديهما محتلين, والشعب الذي يدعوانه للثورة "لايدري أنّ الحياة يقظة حس" وكلاهما قد قسا عليه مجتمعه فرماه بالكفر والإلحاد.

وكلاهما كان ينظر لجسمه, وهو يذوب من المرض, وصدره الحليم تتناوشه جيوش المرض والسقام, مما جعلهما يفضلان الموت؛ لعلهما يجدان بالموت راحة لجسديهما النحيلين ,راحة تريحهم من عنت الحياة, وتسوقهما لحياة أخرى, حياة سرمدية بعيدة عن هول هذه الحياة ,وما فيها من عنت وظلم أحسه الشاعران من مجتمعيهما, ومن الليالي التي لاتنثني عن هدم آمالهما, وطموحاتهما في النفس الشاعرة.

والمدرسة الرومانسية التي تربط الشاعرين ظلت هي الرابط الأقوى, والسمة المتحدة عند الشاعرين وتصبح هي المدرسة الأقوى, والأصدق مقالا وتعبيرا لأنها تعبر عن الذات الانسانية, وماينتابها من فرح, وخوف, وشوق, وهواجس.

ولأن المدرسة الرومانسية هي مفتاح الدخول, والغوص في أغوار الشاعر المرهف الشعور والأحاسيس وهي الأصدق تعبيرا والأقوى عاطفة.

---

[1] أنور المعداوي"نماذج فنية من الأدب والنقد " مقال" أبوالعلاء كما أراه " القاهرة ط 1 1962 ص 45

وتبقى الدراسات المقارنة هي واسطة الصلة بين شاعرين يعتبران أبناء عصر واحد, وإن سبق الشابي التجاني ببضع سنوات , وهما أبناء جيل وأمة واحدة, ويبقى الاختلاف في أداتي الشاعرين وتنوع تناولهما للتشاؤم والحزن في أشعارهما عندهما, ولذلك كله جاء هذا البحث المقترح ليشمل أربعة أشياء هي: الشاعران- والمدرسة الرومانسية- الحزن والتشاؤم- والدراسة المقارنة بينهما.

أهمية البحث:-

تاتي أهمية البحث في تلمس روح التشاؤم عند شاعرين تركا أثرا كبيرا في وجدان أمتهما, وانعكس هذا الأثر في كل أشعارهما, أوسائرها, وسياتي البحث محاولة لإثبات هذا الحزن, الذي أفضى الي التشاؤم, والبحث في أسباب هذا الحزن الذي أصبح سمة مؤثرة على معظم شعرائنا في تلك الحقبة؛ تأثراً بأبي العلاء المعري قديما, وخليل مطران, وجبران خليل جبران حديثا, ثم محاولة إظهار أثر الحالة النفسية التي سببت حزن الشاعرين, وتشاؤمهما.

مشكلة البحث:-

تقوم مشكلة البحث على افتراض هذه النزعة الرومانسية التشاؤمية في شعر الشاعرين ويحاول الباحث إثباتها, وتقصي الأسباب النفسية, والسياسية والاجتماعية, والثقافية التي أدت الى ذلك , وافتراض عدة عوامل مشتركة بين الشاعرين أدت بهما الى هذه النزعة, في دراسة مقارنة.

حدود البحث:-

جعلنا البحث في هذا الموضوع خاصا بالنزعة الرومانسية الحزينة, وروح التشاؤم بين الشاعرين دون النزعات الأخرى في شعريهما مع فصل خصصته لدراسة المدرسة الرومانسية.

منهج البحث:-

سيتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعرض للظاهرة وصفا, ويقوم بدراستها وتحليلها وإثباتها ودراسة أسبابها ودواعيها فهو منهج وصفي تحليلي يتبع روح الدراسة النقدية, وروح المقارنة والموازنة بين تناول الشاعرين لظاهرة الحزن والتشاؤم بينهما.

الدراسات السابقة:-

أولاً: الشاعران المتشابهان

يعتبر كتاب أبي القاسم محمد بدري"الشاعران المتشابهان" أول دراسة تمس موضوع البحث مساً مباشراً, وغير مباشر، مسا مباشرا لأنها تناولت الشاعرين موضوع البحث، وغير مباشرلتناوله نزعة التشاؤم الرومانسي تناولاً غير مباشر, وقد حدد الكاتب أوجه التشابه في الفن الشعري عند كل منهما, فذكر أنهما يتشابهان في الجوانب الآتية:

1 - النظم والتعبير.
2 - تصوير الأحداث الوطنية.
3 - تصوير الحب والجمال.
4 - تصوير العاطفة والوجدان.
5 - تصوير الحالات النفسية.

وتناول الأستاذ أبو القاسم بدري الشاعرين في وجوه الشبه, في النشأة, والثقافة والنزعات النفسية, والفلسفية, وفي نظرتهما القومية , والاتجاه الفني, ونزوع كل منهما النزعة الصوفية, وتأثرهما بالحياة الاجتماعية, وما عاشه مجتمعهما من تخلف, وانحطاط وعدم الثورة لانتزاع حقوقهما المسلوبة؛ فأظهرا السخط والتبرم في شعريهما من ركود مجتمعهما وعدم مبالاته.

ثانياً: بعد ذلك أصدر الدكتور عبد المجيد عابدين كتابه التجاني شاعرالجمال خصص فيه الفصل الرابع لمناقشة كتاب أبي القاسم بدري ونقده , وعاب عليه في مناقشته الآتي:
إن الكاتب لم يرجع في دراسة الشابي الى مراجع كافية, بل رجع الى مقالة واحدة كتبها حسن سباطة في مجلة الرسالة.
وعاب عليه عدم رجوعه لكتاب" أبي القاسم محمد كرّو" "دراسات عن الشابي" فقال فربما لودرس الكتاب لاختلفت الفكرة عنده.
ثم فند قوله في تشابه الشاعرين في النظم والتعبير, وفي تصوير الظواهر الطبيعية والاحداث الوطنية والحب والجمال , وفي تصوير الحالات النفسية والعواطف,

ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين "التعبير عند الشاعرين نموذجان مختلفان من الأساليب, فالشابي يلجأ للعبارة التحليلية السهلة, ولا تجد في شعره معاظلة, ولاتراكبا وليس في تركيبه شيء من الغموض, او التعقيد, ويغلب على اسلوبه اسلوب الحكاية والسرد, بينما نجد عند التجاني نموذج آخر من الأساليب حيث يؤثر الحبكة القوية, والعبارات المتراكبة المركّزة ونجد عند التجاني الميل الى تركيب العبارة , ويميل الى التركيب والإيحاء فلكل أسلوب طابعه وله جماله".

يري عابدين أنّ الشّاعرين يختلفان في تصوير الأحداث الوطنية, فليس في ديوان التجاني قصائد تصف الأحداث الوطنية العامة الإ في القليل النادر, بينما نجد عند الشابي الشعر الوطني الكفاحي.

ويختلفان في تصوير الجمال, فالجمال عند التجاني أوسع مجالا وأكثر تنوعا, ولكن حب الطبيعة أبرز ما اتجهت اليه عاطفة الشابي, ولم نجد غزلا واضحا في شعر الشابي إلا في ثلاث قصائد "الساحرة" و"تحت الغصون" و"صلوات في هيكل الحب".

ثم يقرر الدكتور عابدين أن الشابي أشبه بشعراء المهجر, وأثر التشابه واضح بين الشابي وجبران خليل جبران, فحفظ الشابي أشعارهم, ويكاد يحاكي آراءهم وطرائقهم في التعبير في كثير من شعره.

هيكل البحث :يتكون هذا البحث في هيكله العام من :

مقدمة البحث:-

وتشمل مقدمة البحث وخطته والدراسات السابقة ومنهج البحث وأهميته.

الفصل الاول:-

المبحث الأول: ويتناول بالدراسة المدرسة الرومانسية نشأتها, وأهم سماتها, واتجاهاتها, وأسباب ودواعي الحزن والتشاؤم فيها وأهم شعرائها, ومدارسها في الأدب العربي حيث تناول البحث أثر مدرسة الديوان, ودرسنا فيه مدرسة المهجر وانعكاس أثرها على الشعراء الشباب في الوطن العربي ولا سيما أثر جبران خليل جبران, وبعد ذلك درسنا مدرسة أبولو, وهي المدرسة التي ينتمي إليها الشاعران, ثم في الأدب السوداني درسنا مدرسة الفجر السودانية.

المبحث الثاني:تناول الباحث دراسة التشاؤم لغة, واصطلاحا, وتحدثنا فيه عن تناول الدكتور محمد غنيمي هلال لدراسته "لا تفاؤل ولا تشاؤم" التي أرجع الأمر فيها للتمرد, والثورة.

المبحث الثالث: دراسة لفظ النزعة لغة, واصطلاحا, والفرق بين النزعة, والميل, والمدرسة

الفصل الثاني:-

وخصصناه للشاعر أبي القاسم الشابي النشأة والمولد,,العصر والبيئة والحالة السياسية والاجتماعية في عصره, وأهم الأدباء , والحياة الاجتماعية, والثقافية في تونس, وحركة الصحافة فيها.

ودراسته دراسة نفسية؛ لتقصي أسباب, ودواعي الحزن والتشاؤم عنده ثم دراسة الأثر الصوفي الذي تأثر فيه بالوالد الذي كان أستاذه الأول, ثم الأثر الفلسفي إزاء تأثره بجبران وبذور الثورة التي ظل يغرسها في أرض جدباء هي نفوس قومه.

الفصل الثالث:-

المبحث الأول: التجاني يوسف بشير: وتحدث الباحث فيه عن الشاعر التجاني النشأة والمولد, وحياة الفقر وانقطاعه عن الدراسة ومرضه ووفاته.

المبحث الثاني: العصر والبيئة, وتناولنا فيه, والحياة الثقافية والاجتماعية التي مهدت للنهضة الأدبية والسياسية والاجتماعية.

المبحث الثالث :- درسنا فيه الأدب في عصر التجاني, وأهم المدارس الأدبية في ذلك العصر وتناولنا بعض المدارس التي جاءت بعد التجاني, وذلك لافتراض الباحث امتداد الأثر حتى بعد وفاة الشاعر.

الفصل الرابع:-

العوامل المشتركة بين الشاعرين:

يفترض الباحث فيه وجود هذه العوامل المشتركة بسبب حياة الشاعرين, وبيئتيهما والحالة الاجتماعية, والنفسية التي عاشها الشاعران, وهذه العوامل تتمثل في:

المبحث الأول: وفيه ثلاثة مطالب هي:

أ- الحياة الصوفية:وفيه تحدث الباحث عن الأثر الصوفي في حياة الشاعرين, والذي استقياه من أسرتيهما وبيئتهما في السودان وتونس, وصبغت الحياة الصوفية شعرهما بأثرٍ واضحٍ في قصائد الزهد ,ووحدة الوجود عند التجاني.

ب- عقيدة الشاعرين: ودرسنا تذبذب العقيدة عند الشاعرين من إيمان فطري ,ثم إلي شكٍ ضاق الشاعران به وعبرا عن هذا الضيق في كثير من قصائدهما.

ج– الزهد والشك: وهو امتداد للأثر الصوفي والفلسفي حتى تراوح شعرهما بين الزهد والشك.

المبحث الثاني: الفلسفة عندهما:- وفيها ثلاثة مطالب هي:-

أ - فلسفة الفقر: تناول البحث أثر الفقر في حياة كل منهما ووجدنا هذا الأثر أوضح عند التجاني منه عند الشابي.
ب - النزعة إلى سبر أغوار النفس: وجدنا الشاعرين يقفان في كثير من أشعارهما متأملين الحياة, وكنه النفس والذات والتحليل النفسي والموضوعي وسبر أغوار النغس.
ج - فلسفة الحياة والموت: الشاعران كثيراً ما يتأملان فكرة الموت والحياة التي يحسانها في حياتيهما ويريان الموت يتربص بهما بل أحياناً يستعجلانه ليخلصهما من مشقة المرض ومعاناته.
المبحث الثالث: وتناول السياسة بين الشاعرين: ووجدناها عند الشابي أوضح منها عند التجاني وظل الشاعران ثائرين يدعوان شعبيهما للثورة والنضال ضد المحتل في البلدين.
المبحث الرابع: معاناة المرض, واستعجال الموت طلبا للحياة السرمدية.
الفصل الخامس:-
وعقد الباحث فيه دراسة مقارنة بين أداة الشاعرين, ثم تحدث الباحث عن تناول الشاعرين للحزن والتشاؤم, وطرق التعبير عنهما وأسلوبهما في ذلك.
المبحث الأول: تناول البحث بالدراسة بعض قصائد الشاعرين, ذوات الملمح المتشابه
المبحث الثاني: الاعتزاز والفخر بأشعارهما.
المبحث الثالث: تصوير الموت المثالي.
المبحث الرابع: تناول الفصل موسيقا الشاعرين.
المبحث الخامس: استخدام الألفاظ الموحية .
المبحث الخامس: السرد القصصي.
المبحث السادس: تناول الشاعرين للأدب من خلال آثارهم النثرية.